عظة أحد الغفران
في كنيسة القديس نيقولاوس
في ١٧ آذار ٢٠٠٢

باسم الآب والابن والروح القدس الإله الواحد آمين.

يا أحبة، اليوم هو أحد مرفع الجبن، فهذا هو اليوم الأخير الذي نأكل فيه من مشتقات الحليب. لا يستطيع إلا المريض أن يشرب حليباً ولا أن يأكل جبناً ولا أي شيء من هذا، لأننا غداً ندخل الصوم المبارك. ويُدعى هذا الأحد بأحد الغفران، أي قبل البدء بالصيام، الإنسان المؤمن لا يسمح لنفسه بأن يحمل في قلبه ضغينة أو حقداً أو بغضاً أو أي أمر يسوء إلى قلبه. ولذا لألا ينشغل الإنسان المؤمن بالكراهية وبالحقد وبالبغض، يطلب السماح من أخوته. لا تستطيع أن تصوم وقلبك وسخ وتبقي على الوسخ. نحن ندخل الصيام لننقي ذواتنا من كل ما يجعل قلبنا وفكرنا وذهننا وسخاً وعندما لا نحب قريبنا ولا نغفر له، أي الإنسان الذي لا يغفر لا أظنه يستطيع أن يرفع قلبه بوداعة، بمحبة، بتوبة إلى الله. لا يستطيع الإنسان المحب لله أو الذي يريد أن يعيش النهار أي أن يعيش في النور مع المسيح والمسيح هو نورنا وهو مسودّ قلبه بالبغض وبالحقد وبالنميمة وبالكراهية.

يقول بولس الرسول يا أحبة: يا أخوة، إن خلاصنا الآن أقرب مما كان حين آمنا. الإنسان عندما يدخل إلى الإيمان، يدخل بشوق، بإرادة قوية ولكنه يحمل معه كثيراً من بقايا الماضي وذكرياته لأنه لم يتدرّب بعد كيف سيحارب هذه الخطايا وهذه الشهوات وهذه الميول الشريرة. يقول بولس الرسول: بالنسبة لنا ، نحن الذين آمنا بالمسيح قد تناه الليل، إن كنا مع المسيح فنحن مع النور ولم يعد هناك من ظلمة. إذا كنت أنا أنظر إلى المسيح في كل حين وأسمع كلامه وأفرح برؤيته وأتخشى بالسجود أمامه، أنا أصبح في النور وأطرد من قلبي ومن نفسي كل ظلمة وكل إساءة تكون حاجزاً بيني وبين المسيح.

اقترب النهار، فلندع عنا أعمال الظلمة ونلبس أسلحة النور. لندع جانباً كل عمل وفكر وقول لا يكون من مصدر الضوء، فكرنا فليكن فكر المسيح، قولنا فليكن قولاً موحاً من الإنجيل. العمل الذي نقوم فيه لا يكن بسبب من الشيطان والتجربة بل ليكن

بالطاعة لوصايا الله وبسبب محبتنا للرب. اليوم سندخل ونقول، المؤمن سيدخل مرة أخرى مجدداً عهده قائلاً كما قال الرب في العهد القديم، وكما قال الرب في العهد الجديد، عندما أتى الشيطان يجرّبه، عندما قال له الشيطان: لقد كنت صائماً لأربعين يوم، اجعل هذا الصخر، هذا الحجر خبزاً. فكان جواب الرب له: ليس بالخبز، ليس بالمال، ليس بالمشاوير، ليس بأي شيء يحيا الإنسان بل يحيا بالكلمة الخارجة من فم الله. نحن سندخل أو بالأحرى اليوم نقول لأخوتنا سامحونا. لا أريد ما بيني وبينك حاجزاً، بين الأعظم والأهم في حياتي ألا وهو المسيح. سامحني لأن ما فعلنا لبعضنا لا يساوي ذرّةً أمام علاقتي بالمسيح.

ليتصوّر كل واحد منا، ليتأمل بأنه سيموت اليوم، ألا تصبح كل الأشياء كلا شيء أمام عينيه؟ نحن ندخل في الصوم في مسيرة الموت. سنميت شهواتنا ونميت الأنا فينا. سيصبح الآخر مسيحاً. الأنا، أكرر في كل عظة، صنم كبير، صنم جميل، صنم ولا أهم بالنسبة لنا، ولكنه ينهار كليّاً عندما يحب الإنسان المسيح. نتصوّر بأن الدنيا عظيمة وجميلة ومن يجلس سامعاً الأخبار يعرف كم أن العالم شرير، غامض، وسخ. الأطفال يموتون، النسوة يموتون، الرجال يقتلون، البيوت تدمّر، الفقراء يبعدون، الناس يطردون، ونحن لا نعي بأن العالم شرير، لا نزال نلهف راكضين وراء العالم. ولكن نشكر الله بأن هناك موت. عندما يأتي اللهات الأخير ونجد بأن الحياة لا معنى لها إن لم يسكن الله فيها.

في الصوم نقول: يا ربي، أنا لو أكلت كسرة خبز، تكفيني إذا كنت معي. القديسون والرهبان، كانوا يأكلون قليلاً من الطعام جداً ويعيشون السنوات الطوال وكأن الله كان يسعد بتسبيحهم وبتهليلهم وبصلواتهم وبفرحهم، والرب يستقرّ يرتاح في القديسين. يقول الكتاب: أكرم أباك وأمك، وكأنه يقول عندما أنت تكرم أباك وأمك وتسمع لهما يصبح أباك هو الذي في السماء وأنت ابنه وتصبح تدرك معنى الأبوة، وتتعلم أن تسمع. لكن إذا كنت لا تحترم أباك فلا يعود الله أباك ولا غيره. إذا لم تدرّب هنا فأين ستفعل؟ بالصوم داخلين على حلبة، على ملعب نريد أن نصارع فيه كل الوحوش الموجودة في قلوبنا. علينا أن ندوس تلك الوحوش. وإذا كنا داخلين فلا نخاف لأن الله يكون معنا في كل حين.

الله قوي جداً ولكنه كثير الحب واللطف. الله إذا قلت له أن يكون معك فيكون، لكن دون أن أشترط عليه وجوده معي، الله لا يدخل معنا بشروط. شرط واحد يطلبه منا

هو أن نحبه وأن نترك الباقي له. إذاً هو قوي إذا أحببته أنا ولكنه ضعيف جداً إذا لم أكن أريده. يهرب على مصر، الله يهرب لأنه لا يرضى أن يكون ثقيل على أحد. الله لطيف جداً ووديع ولكنه أيضاً قوي جداً عندما نريده نحن. يقول بولس الرسول: لا تهتموا بأجسادكم. لا تهتموا ماذا نلبس وماذا نأكل، كيف نرتّب حالنا، إذا رتبتم قلوبكم كل شيء يترتّب ويصبح جميلاً. مهما إنسان زيّن حاله إذا كان شريراً تجده لعوب، إنما إذا كان قلبه مع الله وزيّن حاله بقليل أو بكثير، فزينة الله تظهر. نقول سبحان الله، فزينته تظهر. لا تهتموا، البسوا الرب يسوع المسيح. أي البسوه واجعلوا ربنا ملصقاً عليكم. لا تهتموا لأي شيء بل هو يهتم بكم.

في هذا الصوم يا أخوة، كنت أتكلم عن الأنا. الشيطان يهاجمنا بالصلاة، بالصوم، أي الإنسان عندما يخل في صراع مع الشيطان ويصير يصلي ويصوم، الشيطان يأتي له بحيلة ثانية، ويقول له بأنه أصبح قديساً. أنظر أنت تصوم والثاني لا يفعل. فأصير أنا أحكي على الآخر وأتفاخر عليه وأتكبر عليه وأتعجرف عليه وكأنني أحسن. الله يقول لي بأنه عليّ أن أحارب الشيطان. أدخل على قرنتك ولينظر كل واحد إلى نفسه لا إلى الداخل والخارج، انظر إلى قلبك وابحث، ستكتشف بأن رأسك سيدخل بالوحل لأن قلوبنا مليئة بالوحل. ابدأ بتنظيف حالك قبل تنظيف غيرك. ألا تكذب، ألا تسرق، ألا تتكلم على الناس وعلى الآخرين، إذاً ابدأ بإزالة الوحل. علينا التفكير بغيرنا، بأن نغفر له ونصلي له، وأنت تقول يا ربي ارحمني أنا الخاطئ. من أنا حتى أدين.

يقول له: من أنت، يا من تدين عبداً أجنبياً؟ من أنت حتى تتفلسف عليه، أنا أتفلسف عليه. الله يقول لي بأن هذا يخصني لا يخصك. أنا أجعله قديساً، إذا كنت أريد. الذي يعجز الناس عليه أنا قادر عليه. في هذا الإنجيل وهذه الرسالة، ربنا يقول لنا: تعالوا إليّ، يا جماعة المتعبين والثقيلي الأحمال. كل واحد يمرّ في كل نهار بأتعاب عديدة، أمراض، بأمور تقتله، بأوهام، بهموم. تعالوا إليّ. من المناسبة الجميلة بأننا اليوم نعيّد لرجل الله القديس ألكسي. نحن في هذه المناسبة نعيّد أبونا الأرشمندريت راعي هذه الرعية نطلب له طول العمر حتى يظل خادم أمين للرب.

كان والد القديس ألكسي غنياً. كان عضو بالمجلس الأعلى الروماني. والدته كانت مؤمنة جداً. علّمه والده وأتى بفتاة جميلة جداً. وبليلة العرس تكلم معها وقال لها بأنني أنا للرب، فيعطيها الخاتم ويهرب. يأتي ما بين النهرين. يعيش سبعة عشرة سنة في كنيسة للسيدة، فقير، يطعمونه الناس. قالت لهم العذراء، لخادم الكنيسة بأن رجل الله

عندك. يحسّ وكأن الخادم أتى إليه، ووعي القديس ألكسي بأن هنـــاك شـــيئاً، فيهـــرب ويذهب على طرطوس بالسفينة. يكون الهواء قوياً جداً، يحمل هذه السفينة وتتجه نحـــو رومية. فيقول هذا القديس: بأن الله يريد مني شيئاً. يذهب على رومية ثم إلى بيت أهله. والده كان متعب من الحزن، من التعب، من الفقد ولكن في الوقت نفسه أصبح حنونـــاً على الفقراء والمحتاجين والمعذبين والمتألمين. لأن الإنسان التي تحلّ بـــه مثـــل هـــذه المصيبة تتحطم كل الأنا الموجودة فيه، ينكسر ظهره لكن ربنا يكون رافعه. لم يعرفـــه والده لأنه تغيّر من النسك والضعف. فيطلب من الخدم أن يضعوه في غرفة صـــغيرة. ظلّ ١٧ سنة حتى قربت الساعة، فيطلب من أحد الخدم أن يأتي له بورقة وقلم وكتـــب قصته. ثم يقود الرب المطران والملك ويكتشفون بأن هذا هو رجل الله.

قصة القديس ألكسي هي قصة الإنسان الذي شعر بأن الله هـــو الوحيـــد المهـــم بحياته. لا الغنى، لا العلم، لا الجمال. قال أنا صائم عن كل شيء إلا حبّ الله. إذاً، ليس بالخبز، ليس بالمال، ليس بالجاه، ليس بالشهوات، بل بكلمة الله يحيا الإنسان. دعـــائي اليوم، أن يساعدنا الله جميعنا، أن ندخل في هذا الصيام المبارك ونصلي، لأن كل إنسان كلما كبرت معدته يبتعد عن الصلاة. هذا الجنس لا يخرج إلا بالصلاة والصوم لأن الله لا يظهر إلا للناس الذين أصبحوا فقراء له. فليجعلكم الله قديسين. مجيئكم إلى الكنيســـة هو طلب القداسة. دعائي أن يظل الله يحييكم بضمائركم وأن تسمعوا للضـــمير الـــذي يسكن فيه الله، فتخلصوا. صوم مبارك وليرافقكم الرب ولتلتقوا في القيامة فيما بعد بفرح كبير. آمين.